

الخلفيات الفلسفية في نظرية الإنشاء النحوي للكون
"البنية المقولية الحديثة أنموذجا"

A philosophical backgrounds in the theory of grammatical creation of the universe "model of event categorical structure"

ط.د/فاطمة زقير¹ أ.د/محمود طلحة²

¹ جامعة عمارثليجي -الأغواط -مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات (الجزائر)،

f.zegrir.ar@lagh-univ.dz

² جامعة عمارثليجي -الأغواط (الجزائر)، m.talha@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2025/05/14 تاريخ القبول: 2025/06/22 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

تسعى هذه المداخلة إلى عرض البنية المقولية الحديثة كما تجلت في نظرية الإنشاء النحوي للكون عند محمد صلاح الدين الشريف وخلفياتها الفلسفية. فقد اهتمت هذه النظرية بتقديم تصور للنظام اللغوي، وذلك بتحديد المستويات اللغوية القائمة على بنية مقولية حديثة مجردة. فالبنية المقولية الحديثة هي بنية مجردة تقع في أعلى قمة هرم النظام اللغوي ومفرغة تماما من اللفظ. تتكون من مكونين مجردين هما الحدث [ح] وحادث [حا]، تربط بينهما علاقة تشارطية، بحيث هما تجريد لكل المقولات الممكنة والمحتملة، ومنهما تتولد الأبنية اللغوية وتستمد دلالتها. كما تتميز بفضل خاصية التجريد بثناء احتمالي، وبفقر في دلالتها الحاصلة، وذلك لتؤلف هذه البنية المجردة بين الشكل اللفظي وما يدل عليه.

كلمات مفتاحية: بنية، مقولية، حديثة، حدث، حادث، تشارط. فلسفية

summary:

This intervention seeks to present the eventive conceptual structure as manifested in the grammatical construction theory of the universe by Muhammad Salah al-Din al-Sharif and its philosophical backgrounds. This theory was concerned with providing a conceptualization of the linguistic system by identifying the linguistic levels based on an abstract eventive conceptual structure.

The eventive conceptual structure is an abstract structure that occupies the highest peak of the linguistic system pyramid and is completely devoid of verbal expression. It

consists of two abstract components: the event [H] and the incident [Hā], which are linked by a conditional relationship, serving as abstractions of all possible and potential concepts. From these components, linguistic structures are generated, and their meanings are derived. Additionally, thanks to the property of abstraction, it is characterized by probabilistic richness and a poverty of the meanings obtained, as this abstract structure synthesizes between the verbal form and what it signifies.

Keywords: structure, discursive, eventful, event, incident, condition, philosophical.

*المؤلف المرسل: فاطمة زقير

مقدمة

شهدت البحوث اللسانية العربية تطورًا ملحوظًا في العقود الأخيرة، حيث سعى الباحثون العرب إلى بناء إطار معرفي نظري يساهم في دراسة اللغة العربية وفهم بنيتها. ومن بين الباحثين الذين اهتموا بالجانب التنظيري للغة نجد الباحث محمد صلاح الدين الشريف¹ الذي قدم نظرية أسماه بالإنشاء النحوي للكون² [إن ك].³ والتي دشن بها فلسفيا مقارنته الأنثروبولوجية اللغوية للثقافة ولنظرية المعرفة والعمل واستنبط منها منهاجا في وصف الأبنية اللغوية وتفسيرها على أسس مفهومية ومنهجية بسيطة ورائدة.

ومن بين أهم ما قدم في هذه النظرية تصوره لبنية مجردة تتحكم في جميع الأبنية على اختلافها، وذلك ضمن مستويات لغوية حددها أيضًا في هذه النظرية وفق تصور جديد. سعى هذه البنية بالبنية المقولية الحديثة. ومنه طرح التساؤلات التالية: ماهي الخلفية الفلسفية لهذه البنية؟ ما طبيعتها؟ أي بنية لفظية أم بنية معنوية؟ أم هي غير ذلك؟ كيف تم تحديدها؟، ومم تتكون؟ هل هي بنية أحادية أم

محمد صلاح الدين الشريف الشريف أستاذ متقاعد من جامعة منوبة بتونس من مواليد 1949 متحصل على الأستاذية في اللغة والآداب العربية سنة 1972 والتبريز سنة 1974 ودكتوراه الدولة بكلية الآداب بجامعة منوبة 1993.

نظرية الإنشاء النحوي للكون هي نظرية قدمها صاحبها ضمن بحثه الجامعي لنيل دكتوراه دولة في اللغة والآداب العربية بعنوان "مفهوم الشرط وجوابه وما يطرحه من قضايا العلاقة بين الأبنية النحوية والدلالية ص سنة 1993 ثم نشر سنة 2002 تحت عنوان آخر هو "الشرط والإنشاء النحوي للكون: بحث في الأسس البسيطة المولدة للأبنية والدلالات" دون تغيير في محتوى البحث.

[إن ك] هو الرمز الهجائي لنظرية الإنشاء النحوي للكون وينطق "إن كاف" حيث "إن" هي أم الباب في الشرط و"ك" رمز للكون وهو الحرف الأول من {كان، كون} التي تدل على الحدث النحوي المطلق في دلالاته الإحالية المطلقة على الكون الخارجي

ثنائية ؟ وكيف تشتغل ؟ هل تشتغل من داخل اللغة أم خارجها ؟ وما علاقتها بباقي المستويات ؟ هل هي منفصلة عنها أم مرتبطة بمستوى دون آخر ، أم هي المتحركة في جميع المستويات باعتبارها أبنية دلالية ؟

الخلفية الفلسفية:

تقوم نظرية الإنشاء النحوي للكون على عدة مسلمات ومنها :

- اللغة وظيفة الدماغ العليا.

- المنطق اللغوي هو المنطق الطبيعي .

- الخاصية التاريخية والاجتماعية للغة.

اللغة وظيفية الدماغ العليا:

النظام اللغوي هو مجموعة من الأبنية النحوية المتفاوتة في التجريد تتعامل فيما بينها وفق حركية دائمة مستمرة لا تعرف السكون حسب قوانين لانهائية . هذه البنى تمثل عمليا ولغويا عمليات ذهنية . إذ لا يمكن إنجاز أي عملية ذهنية خارج البنية النحوية . مما دعا إلى تجريد هذه البنى من اللفظ وتحديد مستوى من المستويات اللغوية منقطع عن المستوى الصوتي وهو المستوى الإعرابي المجرد الذي ينظم ويستوعب كل أشكال التواصل غير اللفظية.

المنطق اللغوي هو المنطق الطبيعي:

سعت نظرية الإنشاء النحوي للكون إلى اعتبار كل علاقة منطقية تمثل بنية لغوية . فالنظام اللغوي لا يستعير الأسس المنطقية من غيره . بل هو مصدرها باعتباره ممثلا للمنطق الطبيعي . لأن الأنظمة الطبيعية تتضمن تطبيقها أو حدثان برنامجها . وبما أن اللغة جهاز طبيعي فهي تتضمن تطبيق برنامجها .

حاول الشريف إثبات أن كل العلاقات الدلالية هي علاقات نحوية ينتجها النظام اللغوي بما في ذلك العلاقات المنطقية غير اللغوية .

الخاصية التاريخية والاجتماعية للغة:

قامت هذه النظرية على أساس تاريخي يعتبر العلاقة بين اللغة والكون صنعة التاريخ الطبيعي والثقافي للجنس البشري إذ أن اللغة رشحت الجزء الأساسي من جدلية الإنسان . يعد النظام اللغوي فيها ذو خصائص تاريخية اجتماعية ثابتة تجعل كل دراسة للنشاط اللغوي مؤدية حتما إلى الكشف عن الثوابت النحوية السابقة لكل نشاط لغوي فردي.

مما جعل الشريف "يفترض أن انتظام العمليات العرفانية في أدمغة الأفراد يوافق نظام التعامل الاجتماعي ومنه يفترض أن مراحل تطور الطفل في اكتسابه للغة تشبه مراحل تطور الجنس البشري. فما يكون من تطور الدلالات في مراحل الاكتساب هو صورة من تطور الدلالة في التاريخ" (المبخوت، ص36، 2021). فهو يرفض مفهوم الآنية والفردية في تقدير الظواهر اللغوية. حيث أن الأبنية اللغوية تترشح تاريخيا واجتماعيا لتمثيل العقل .

وقد افترض تجذر علاقات (علاقة الشرط والوصل والفصل) مما يسميه المناطق بالروابط (إن، و، أو) في هذه الأبنية النحوية المعبرة عن هذه الدلالات بطرق مختلفة ولكن جذرها البنيوي واحد وهو بنية مقولية مجردة واحدة .

مفهوم البنية في [إن ك]:

درس الشريف جزءاً من التكون الدلالي للأبنية، واعتبر أن البنية مجردة بطبيعتها، وأنها ليست تجريداً ينجزه الواصف لها بعملية ذهنية. فمفهوم البنية كما يرى هو مفهوم أولي في النظريات العلمية ينبغي إسقاطه على الأحداث اللغوية .

فالبنية تتكون من طرفين تربط بينهما علاقة أو نسبة. يقول الشريف: "فالمفهوم الساذج للبنية أنها طرفان بينهما رابط نسميه علاقة أو نسبة" (الشريف، 2002، ص285) .

تنقسم البنية تجريبياً بحسب عدد أطرافها إلى: بنية أحادية، بنية ثنائية، بنية ثلاثية ... الخ. وقد اعتبر الشريف أن البنية اللغوية في أساسها بنية ثنائية. (الشريف، 2002، ص285).

كما يتحدد نوع البنية تبعاً لنوع العلاقة الرابطة بين طرفيها، إضافة إلى أن نوع الطرفين يتحدد أيضاً بنوع العلاقة في البنية من مثل:

أ	ع	ب
مسند إليه	إسناد	مسند
مضاف	إضافة	مضاف إليه
مشبه	تشبيه	مشبه به

حيث: أ ب :طرفا البنية و ع العلاقة الرابطة بين طرفين البنية
مثال:

أ	ع	ب
زيد	ك	الأسد
مشبه	تشبيه	مشبه به

وللبنية احتمالات هي:

ع(أ ب)	كأن زيد أسد
أ ع ب	زيد كالأسد
أ ب	زيد أسد

ففي المثال الثالث (أ ب) لا تظهر العلاقة في البنية (تشبيه بليغ)، فيستدل عليها من خلال موقع الطرفين في البنية ؛أي وجود قرينة دالة على العلاقة، وهي الموقع في البنية.
كما طرح الشريف إمكانية وجود بنية أحادية، صورتها (ع أ) مثالها ما يقع في علاقة المنفي بنافيه "؛و مثالها في اللغة :

[لا أ] ← لا نقود / لا رجل في الدار

ومنه فالبنية عنده تتحدد بأنها علاقة مجردة بين محليين مجردين. وبما أن العلاقة هي التي تحدد نوع البنية وطرفيها، فهي أكثر تجريداً من البنية ذاتها. "فبنية اللغة متى كانت مجردة كانت شكلاً أجوف فالطرفان محلان لا تجسيد لهما إنما يتحدد المحل بالنسبة إلى الآخر بحسب وظيفته بالنسبة إلى الآخر في تكوين البنية" (الشريف، 2002، ص286)

والبنية عند الشريف لا تمثل عملياً ولغوياً عمليات ذهنية، وإنما "هي تعالقات مجردة مستقرة وثابتة بتعاملها تولد الدلالات وتنتج الأقوال اللامتناهية" (الشريف، 2002، ص838). يتصور بأنها مفهوم دلالي مجردا من اللفظ، وأنها لا تكون إلا نحوية دلالية "البنية النحوية شكل دلالي منظم" (الشريف، 2002، ص272). ولا تحمل هذه البنية دلالة محددة، بل الدلالة لا تحصل إلا بدخولها في تعامل وتفاعل مع الأبنية.

البنية المقولية في [إن ك]:

1.4 مفهوم المقولة⁴:

تعتبر المقولة أداة مهمة من أدوات البحث في المعرفة، وهي مكون أساسي في كثير من العلوم، على غرار اللسانيات والرياضيات والفلسفة، لما لها من دور ابستمولوجي في تعميق المعارف أثناء تحولاتها. يُعرف الفارابي المقولات بأنها "أجناس عالية تضم جميع الأشياء المحسوسة وهي معقولات الأشياء المحسوسة وهي الأجناس والأنواع التي تحت كل واحد منها قد يوجد على أنها معقولات الأشياء المحسوسة والموجودة ومثالات في النفس للأشياء المحسوسة" (الفارابي، 1970، ص24)

وفي المقاربات اللسانية-خاصة العرفانية منها- اختلف في تحديد طبيعة المقولة في كونها لغوية أو أن جزءاً منها لغوي وآخر غير لغوي. فقد ذهب جاكندوف إلى أن المقولات انطولوجية موجودة باعتبارها عناصر أولية في البنية التصورية " ويرى أن للمقولة قدرة تصنيفية وترتيبية تمكن من معالجة المعلومة وذلك ب"الحكم بأن ذاك الشيء الخاص هو عينة من مقولة بذاتها أم لا" (جاكندوف، 2010، ص161) وعرفها هارنارد "هي كل تعامل منتظم بين نظام مستقل قابل لأن يتكيف مع ما هو حسي والكون الذي يتعلق به" (Harnaad, 2005, p21)

أما بنفيسيت فيرى "أن اللغة قبل كل شيء مقولة، لا هي خلق لأشياء ولعلاقات بين هذه الأشياء " ويعرف المقولة "نقص بالمقولات أقسام الأشكال ذات الخصائص التمييزية والقابلة لأن تضطلع بوظائف نحوية" (بنفيسيت 1995، ص123)

ويرى تشومسكي أن المقولات فطرية "فالطفل يقارب اللغة مزودا بفهم حدسي عن التصورات التي تشتمل على القصد والتسبب والحدث وهدف الحدث..الخ" (تشومسكي، 2005، ص187) فالفكر المقولي "في علاقته بالمعرفة يخضع إلى إثراء وزيادات غير مناسبة لما هو أصلي فيه فهو فكر لا يضع أسس المعرفة ولا يبنها وإنما يحاول أن يصدّمها ويدفعها إلى أن تضع لنفسها استراتيجيات واضحة في البناء والإكتساب" (عيساوي، 2011، ص32)

وترى نرجس باديس أن للمقولة بعد علائقي "فالمقولات تمثل [الشيء] كما تمثل العلاقات المجردة. بل نحن نعتقد أن المقولة باعتبارها آلية لإدراك المحسوسات لا تدرك [الشيء] إلا باعتباره مجموعة من التعالقات فالمقولة عملية بناء للمدركات وهو ما يخول لنا اعتبار المقولة في حد ذاتها ممثلة لبنية مقولية." (باديس، 2018، ص247)

يعتبر محمد صلاح الدين الشريف المقولة لغوية. وأن "مفهوم المقولة يستعمل أكثر ما يستعمل للدلالة على أصناف وأقسام معجمية وصرفية أو إعرابية تتحقق في جداول من وحدات لغوية. ولكنها

يمكن الاطلاع على مقال عبد السلام عيساوي، المقولة، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد السابع، فيفري 2011. 4

تستعمل أيضا لتعيين أصناف وظائفية معنوية لا تكون وحدات قابلة للتلفظ وإن كانت مسيرة لأقسامها أو لجزء منها. وكذلك تستعمل للدلالة على بعض المفاهيم العامة كالعدد والجنس" (الشريف، 2002، ص68)

أكد الشريف في تحديده لمفهوم المقولة للاستعمالات المختلفة والمتداخلة لهذا المفهوم، فهو بهذا لا يصنف أنواع المقولات بل ينبه إلى اتساع مجال المقولات وسيطرتها على الظواهر جميعا اللفظية وغير اللفظية. وهذا التوسع في مفهومها مجاوز للأشكال اللفظية. كما نبه إلى ضرورة التمييز بين السمة والمقولة. وتبين الفرق بينهما يكون في تبين تدرج التجريد فيهما. فالمقولة تقع في أعلى سلم التعميم والتجريد،

وهي تضم تحتها مجموعة من المفاهيم يقول الشريف "نلاحظ هنا أن استعمالنا لمفهوم المقولة قد يلتقي بدلالة ما يسمى بالسمة المعنوية (trait sémantique). لكننا لا نقبل هذا المفهوم المسقط على الدلالة من خصائص المادة اللفظية. السمة في هذا المعنى مكون شبيه بالمكون الصوتي [جهر، همس، الخ] به تتركب حقيقة لغوية أخرى أكبر منه تعتبر فيه السمة جزءا من الأجزاء المكونة له والقابلة للانعدام بمقتضى القواعد التعاملية بين هذه العناصر الكبرى المجاوزة للسمات" (الشريف، 2002، ص69)

ومنه فإن مفهوم المقولة أوسع من مفهوم السمة، فكل سمة تحتاج إلى مقولة تتجلى من خلالها. ويمكن تلخيص الفرق بينها في الجدول التالي:

المقولة	السمة
مفهوم واسع	مفهوم ضيق
مجاوزه للأشكال اللفظية	مرتبطة باللفظ في بعده المادي
وجود مطلق	تخضير وتغييب

إضافة إلى هذا فإن المقولة تتميز بالحركية والديناميكية، فهي المصدر الدلالي الذي منه يستمد المعجم والإعراب دلالاتهما. إذ أن بين المقولة والدلالة تلازماً يجعل الدلالة تتولد من تفاعل المقولات، وتأخذ المقولة بدورها سمات الدلالة، ألا وهي البنائية والحركية والديناميكية.

2.4 البنية المقولية والمستويات اللغوية:

تتعامل المقولات مع البنى الإعرابية المجردة غير الموسومة باللفظ، كما تتعامل مع البنى الإعرابية المعجمة الموسومة باللفظ. ومنه تتحدد درجة تجريد المقولات، وحسب تجريد كل مستوى من مستويات النظام اللغوي تكون درجة تجريدها. فالمقولات ترتبط بمستوى تجريدي وتأخذ قيمتها من تفاعله مع بقية المستويات. حيث تمثل البنية المقولية في نظرية [إن ك] بنية نحوية مجردة ذات أساس تاريخي وليس أني كما أنها بنى دلالية ذات قدرة احتمالية متفاوت تبعاً لدرجة التجريد في كل مستوى، فكلما اتجهت نحو التعجيم قلت هذه القدرة الاحتمالية وزادت قدرتها الدلالية.

ومنه فإن النحو مسير بمقولات تتحدد في اللغة بصفة مستقلة عن الألفاظ التي تدل عليها. هذه المقولات لا تكون إلا لغوية. فالبنية المقولية هي بنية إعرابية. وهذه البنية الإعرابية توفر محلات إعرابية تتجسد من خلالها المقولات. فالمحلات الإعرابية هي "تجسيدها فضاءاً للمقولات يهيئها للوسم اللفظي" (الشريف، 2002، ص745)

كما اهتمت نظرية [إن ك] بتحديد المستويات اللغوية تحديداً يتميز بالتفرد فتصنيفها للمستويات النحوية تصنيف مجاوز للمستوى الإنجازي من اللغة واتجه صاحبها عكس ما اتجه إليه اللسانيون. فهو ينطلق من المستوى الأكثر تجريداً نحو الأقل تجريداً إلى أن ينتهي بالمستوى المنجز أي القول فهو بذلك لا ينطلق من الاستعمال بل ينتهي إليه.

وقد أراد بذلك أن يؤسس إلى نظرية مغرقة في التجريد تكون فيها مستوياتها العميقة مفرغة من أي شكل من أشكال التعجيم. وهذه المستويات منقطعة كل الانقطاع عن الإنجاز. واعتباراً للبنية الإعرابية المجردة أبنية دلالية يقتضي أن يعتبر المستوى المقولي قابلاً للتحقق في هذه الأبنية.

وقد رتب المستويات ترتيباً تنازلياً اعتماداً على الترتيب الزمني مما يساعده على تمييز ما هو تاريخي وما هو أني في البنى النحوية فالبنى المجردة من الوسم اللفظي هي بنى تاريخية مشتركة بين البشر ومحكومة بالمنطق اللغوي العام للنظام اللغوي. بينما البنى الموسومة باللفظ هو ما يبرز الآنية والفردية في الإنجاز اللغوي.

1.2.4 المستويات:

صنف الشريف المستويات ضمن جانبين اثنين هما: مستويات التجريد اللفظي وهي التي تتجه نحو اللفظ ومستويات التجريد المقولي وهي المستويات المتجهة نحو المقولات. وقد اقترح ثمان مستويات مرتبة ترتيباً تنازلياً ينطلق فيها مما هو أكثر تجريداً إلى ما هو أقل تجريداً فميز بذلك بين البنى "الموسومة باللفظ" و البنى "غير الموسومة باللفظ" فالأولى هي بنى معجمة والثانية بنى غير معجمة ويقصد الشريف

بالتعجيم "كل مظهر من مظاهر الوسم اللفظي مهما كان" (الشريف، 2002، ص573) بما فيها الحركات والحروف الإعرابية .

أ- مستويات التجريد اللفظي:

8-البنية الصوتية: وهي البنية التي يمكن تسجيلها بالآلات الفيزيائية.

وهي تمثل المستوى الصوتي أي مجموعة الأصوات المنجزة عند التلفظ وهو " مستوى النطق الفردي، مستوى بنية إعرابية تختص بدلالة مقامية وبدلالة تأنيها من علاقتها بالمستوى الصوتي"

7-بنية صوتمية: "لا تسجلها الآلة وهي التي يحددها العالم اعتمادا على وظيفة الصوت في وسم التمايز بين العناصر المعجمة خاصة".وهي التي تقوم بالوظيفة التمييزية بين العناصر المعجمة.

6-البنية التصريفية المعجمة: "بنية تصريفية معجمة هي القول المشتمل على الأبنية الصوتية قبل تغيرها أبنية صوتمية" فهي البنية التي تتضمن عناصر صوتمية وذلك قبل تحققها إنجازيا وفيها يقع تصريف العناصر القابلة للتصريف حسب المقولات التصريفية (الجنس-العدد-التعيين-الزمان - المظهر).

ويسمى هذا المستوى بالتصريفي "لأنه يمثل تصريف الجملة بتصريف عناصرها تصريفا خاضعا لقواعد المطابقة بينها"

ب- مستويات التجريد المقولي:

5-البنية التصريفية المعجمة : وذلك من قبيل ما فعل الفاعل فعلا فعيلا عنما فعل المستفعلا في المفعول وهو مستوى يخلو من الدلالة المعجمية فهو مستوى إعرابي مصرف ومجرد من التعيين المعجمي للبنية النحوية المنجزة ومنه يستمد المستوى الإعرابي التصريفي المعجم دلالة .

4-البنية الإشتقاقية : هي البنية الصرفية في تجرد عناصرها من التصريف وذلك لتكون الأقسام (كالاسم والفعل والحرف) من قبيل [(ف+فا)+(ف+فا)] في حالة الجزم .

وفي هذا المستوى ينتهي المستوى اللفظي

3-البنية الإعرابية المجردة: وهي البنية الجامعة للعلاقات البنيوية بين الأبنية الإعرابية المصرفة وليس لها علاقة بالنظام الصوتي فهذا المستوى معنوي خالص خال من اللفظ.

2-البنية المقولية : وهي البنية التي تمد بقية البنى بالدلالة وفيه يتحقق المنطق اللغوي وهي تتصل بمعجم الأبنية المقولية وبنحو المستوى المقولي والعلاقة بين المعجم المقولي وأبنيته النحوية .

1-البنية العامة للنظام اللغوي : "وهي بنية عامة تمثل جميع المستويات مجتمعة ومنظمة حسب الأولوية في الوجود وحسب مقياس التحكم والعمل"

ويحددها الشريف بقوله "بنية محلية تجسد فضائيا مقولات البنية المقولية الإعرابية الحديثة بجعلها محلات قابلة لعلاقة الاحتواء... هذه المحلات مرتبة ترتيبا زمانيا يبرئ البنية لقبول خطية الوسم اللفظي. وهي بنية عاملية توفر للبنية إمكان الانتشار والاختزال في صورة خطية تكرر البنية الأساسية المحلية تكرارا خطيا." (ينظر: الشريف، 2002، ص 301 ص 298 ص 330 ص 331 ص 778)

البنية المقولية الحديثة:

اهتمت نظرية [إن ك] بتقديم تصور للنظام اللغوي وذلك بتحديد للمستويات وتفرعها والتعامل فيما بينها باعتبارها كلالا ينفصل عن بعضه البعض وممثلة للبنى الداخلية لمختلف الوحدات اللغوية مهما كانت. حيث قدم صاحب النظرية تصورا لبنية مقولية قائمة على علاقة تشارطية بين مكونين مجردين هما الحدث [ح] والحادث [حا] بحيث يمثلان تجريدا لكل المقولات الممكنة والمحتملة. تعد البنية المقولية الحديثة بنية ثنائية بسيطة مستقلة عن المعجم توجد في أعلى قمة هرم النظام اللغوي وهي المتحركة والمسيطر على بقية البنى فهي التي تضخ الدلالة لجميع البنى على اختلافها.

تتميز البنية المقولية بعدة مميزات هي:

1-مد بقية البنى بالدلالة.

2-تتعامل مع جميع مستويات النظام اللغوي (باعتبار هذه المستويات بنى دلالية).

3-هي بنية مفرقة في التجريد مفرغة من اللفظ.

4-توجد في أعلى قمة الهرم اللغوي وتتقدم على البنية الإعرابية المجردة.

إن البنية الحديثة بنية نواة بسيطة تتكون من حدث [ح] وحادث [حا] مثل لها الشريف ب: [ححا] ومنها تتكون الأبنية الاشتقاقية والإعرابية وهي المولدة للدلالة في مختلف الأبنية اللغوية. كما أنها مفرقة في تجريد مما يجعلها "تقول كل شيء عن الكون ولا تقول شيئا على الإطلاق" (الشريف، 2002، ص 359) وهي بهذا ممثلة لكل الأحداث الممكنة وتجرد التجارب الإنسانية في التاريخ.

"البنية المقولية الحديثة هي بالنسبة إلينا الدلالة المستخلصة من تعامل الإنسان مع الكون في التاريخ. فهي إحالة كونية مطلقة بمعنى الإطلاق التاريخي لا الماورائي" (الشريف، 2002، ص 445).

كما تتميز هذه البنية بقدرتها الاحتمالية من حيث تكهنها بالدلالة وذلك دون تحديد أو تخصيص فهي بنية عالية التجريد. وهي بنية ثرية احتماليا فقيرة دلاليا. إذ أنه كلما اتجهنا نحو مستوى أقل تجريدا قلت قدرتها الاحتمالية وزادت قدرتها الدلالية أي أن كل تعيين أو تخصيص في مستوى ما يقلل من القدرة الاحتمالية ويثري القدرة الدلالية للبنية.

"ولقد حاولنا ... أن نحدد للحدث وصاحبه دلالة... ووجدنا في النهاية أنه من حيث الاتساع لا يدل على شيء مضبوط خارج اللغة وداخلها أيضا وهو من هذه الناحية أصلح المقولات للإحالة وعدم الإحالة على الكون وأصلح المقولات للاثراء الدلالي وللإفكار أيضا وهو من هذه الناحية صالح لشكلنة التعامل البنوي الذي فيه يسبب الشرط" (الشريف، 2002، ص359)

1.5 الحركة والسكون (تجربة القطار):

أراد الشريف أن يزيل الغموض عن هذه البنية فحاول تفسيرها وتقريبها للتصور الذهني فمثل لها "بتجربة القطار" التي توضح لنا مبدأ الحركة والسكون بوجود طفل في قطار يرى من خلال النافذة قطارا آخر يمر به فيتوهم الطفل للمرة الأولى أن القطار الذي يركبه ساكن والقطار الآخر متحرك ثم يبدو له العكس ثم يتردد لفترة لمن ينسب الحركة ولمن ينسب السكون، لكن "اليقين" هو وجود حركة ومتحرك وسكون وساكن. مما ينتج أربعة احتمالات في إسناد الحركة والسكون هي :

إسناد الحركة لمتحرك ، إسناد سكون لساكن ، إسناد حركة لساكن ، إسناد سكون لمتحرك .

ويرى أن هذه الاحتمالات الأربعة هي التي تكون اليقين اللغوي وتكون الصديق المطلق للغة. وذلك أن جميع هذه الاحتمالات تصب في بنية واحدة موحدة. تعبر عن حالة "الطفل في القطار" التي هي حالة "الإنسان في التاريخ". إلا أن هذه البنية المقولية لا تقول لنل شيئا عن هذه الاحتمالات مما يجعلها غاية في التجريد . ويؤكد الشريف على ضرورة إفراغ هذه البنية من تجربة القطار ولذلك اقترح الرمز [ح حا] ووظيفته إفراغ هذه البنية من تجربة القطار التي تبررها .

هذه البنية المقولية الحديثة المجردة تعتبر مقولة الوجود المطلق. وهي تمثل دلالة دنيا فقيرة قابلة للاثراء الدلالي في تعاملها مع بقية الأبنية اللغوية ومنحصرة في "زوج قيمي" يمثل شحنتين الإيجاب (+) والسلب (-) الممثلتان لقيمتين مختلفتين لمفهوم الوجود الموجب والوجود السالب. ومنه فهي بنية تواجدية [H]. فتصبح البنية بنية وجودية حديثة يرمز لها ب[H ح حا] موجودة في كل المستويات ومتفاوتة في درجات التجريد حسب هذه المستويات . تتحقق ببينيتين وجوديتين حديثتين كحد أدنى [H ح حا] و [H حا] وتكرر تكرارا لانهائيا . (حيث θ رمز الجمع المطلق)

وقد تثيري البنية المقولية الأساسية البنية الحديثة [H حا] تركيبيا ب حادث ثاني وذلك من قبيل الجملة التي يتعدى فعلها إلى مفعول أو مفعولين .. الخ. لذلك افترض الشريف محل ثان للحادث في البنية الحديثة لتصبح : [H حا 1 ح (حا2)]

وهذا المحل الثاني قابل للملء مقوليا بما يدل على المتجه للحدث أو الواقع عليه الحدث (المحتمل) أو السبب.. الخ (الشريف، 2002، ص368)

ويشير الشريف أن البنية [ححا] أو [ححا (حا2)] ليست بضرورة جملة وذلك من مثل ما يقع في اشتقاق الكلمات . فهذه البنية مؤسسة للكلمة كما هي مؤسسة للجملة والنص.

تتعامل البنية الحديثة مع بنية أخرى هي البنية الإعرابية المجردة من اللفظ وممثلة لمختلف الوظائف النحوية (كالفاعلية والمفعولية) والمحلات الإعرابية ويرمز لها ب[ف فا (مف)] بعلاقة شرطية تشارطية أو ما سماه ب اشتراط البنية النحوية للبنية الدلالية [س ← س']. فالدلالة عنده تمثل العلاقة بين بنيتين نحويتين يمكن الانتقال بينهما . ويكون تمثيل الدلالة بالانتقال بين بنيتين نحويتين على الأقل بعملية دورية في المستوى التجريدي. حيث (س) رمز للبنية النحوية و(س') رمز للبنية الدلالية ويشير السهم (↔) إلى العلاقة بين البنيتين التي تعبر عن الانتقال من 5- البنية النحوية إلى البنية الدلالية .

تعاملا يعبر عنه على النحو التالي: [ححا (حا)] ← [ف فا (مف)]

2.5 في تعامل البنية الحديثة:

استطاع الشريف بيان كيفية تعامل البنية الحديثة مع بقية المستويات وفق مبدئين هما:

1. البنية الحديثة ليست جملة بالضرورة.

2. مبدأ الدور التكراري.

فالبنية الحديثة قابلة لأن تتجسد في كلمة وذلك من مثل تعاملها في الاشتقاق لتكوين الكلمات. فالبنية [ف فا (مف)] التي توؤل ب[ح حا (حا)] هي مؤسسة للجملة والكلمة والنص. يقول الشريف "تعتبر [ف فا (مف)] بنية لا تستلزم أن تكون جملة بالضرورة وإن كان من الممكن أن تكون جملة".

أما مبدأ الدور التكراري فهو يمثل تكرار القيمة الوجودية الممكنة للحد الأدنى من الدلالة النحوية (المبخوت، 2021 ص73). ويقوم على قاعدة أساسية هي اشتراط وجود الحدث [ح] لوجود الحادث [حا] والعكس ح ↔ حا ومنه يمكن التعبير عن البنية الحديثة بشكل أوسع ح ↔ حا ↔ حا

وتمثل هذه القاعدة قاعدة دورية تكرارية اعتمادا على مبدأ المحافظة على البنية ومنه يكون تكرار البنية الحديثة تكرارا لا نهائيا.

فالجملة "خرج الأمير" تعني وجود جملة فعلية [ففا] حيث يوجد فعل الخروج ويوجد فاعل هو الأمير وتوجد جملة خروج الأمير هذا على الأقل".

3.5- مكونات البنية الحديثة:

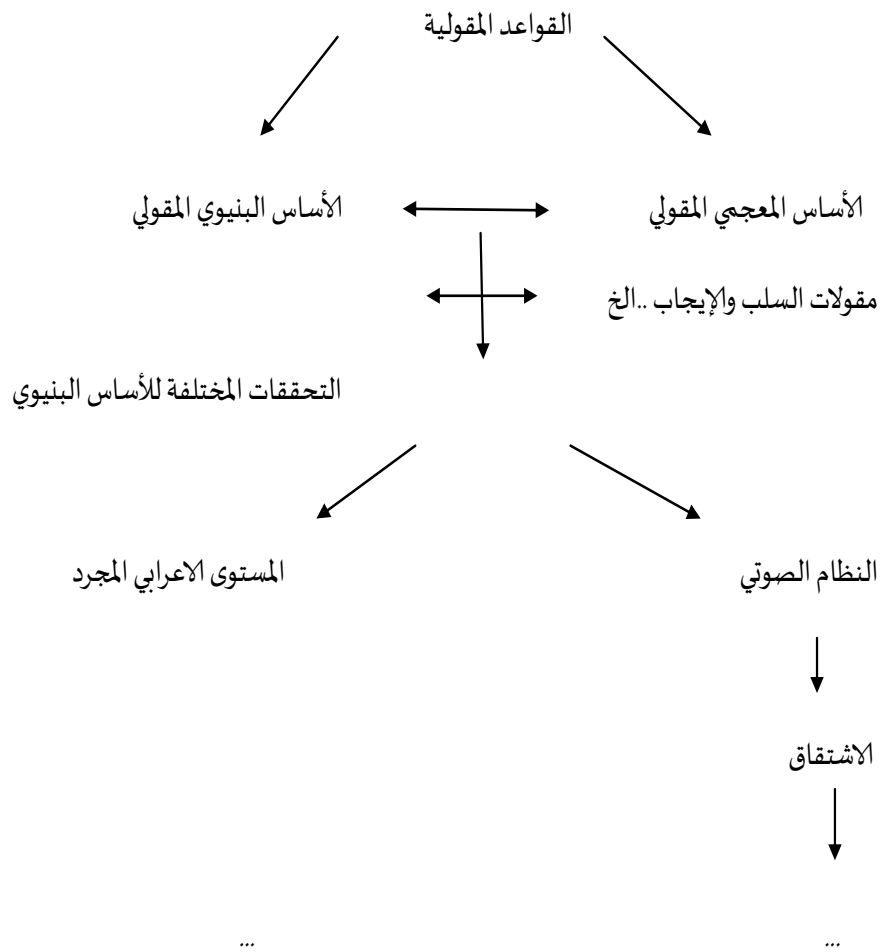
1.3.5 المعجم المقولي:

تتعامل البنية الحديثة مع معجم أساسي للمقولات يتكون من:

- مقولة الوجود والعدم (+ -) وهما قيمتان شحنتان في الجهاز النظري

- العنصر المقولي الثاني المتمثل في العلاقة النظامية الشرطية (←)

العنصر المعجمي الثالث وهو علاقة الجمع المطلق وهي أصل العلاقة المتمثلة في الأداة [و]. تتلخص في المخطط التالي:



(ينظر: الشريف ، 2002 ، ص351)

4.5 مبدأ المحافظة على البنية المقولية الحديثة وقانون التشارط والاسترسال البنيوي:

1.4.5 صورة الاشتقاق في البنية المقولية:

وتتمثل في اشتقاق الأفعال من العنصر [ح] من البنية أو اشتقاق الأسماء بحسب الصيغة الدالة من العنصر [حا]. ويحافظ الاشتقاق على البنية من خلال تخصيص ل [ح] المصدر أو صيغة الفعل ول [حا1] اسم الفاعل ول [حا2] اسم المفعول وإن كان الحادث مُتضمن في صيغة الفعل أو المصدر وحدث مُتضمن في الصيغة الدالة على الحادث الأول والصيغة الدالة على الحادث الثاني. أي تمر بعض البنية الحديثة إلى الإنجاز في الاشتقاق مروراً صريحاً وبعضها الآخر مروراً ضمناً.

2.4.5 صورة الإعراب في البنية المقولية :

وتتمثل في العلاقات البنيوية الثابتة كالفعلية والفاعلية والمفعولية . فيعمل الإعراب على المحافظة على البنية بتحويل مقولات البنية الحديثة إلى محلات وظائفية من قبيل الفعلية والفاعلية .. الخ وفق ترتيب زمني. يخول له تلقي العناصر الاشتقاقية الموسومة لفظياً حسب الترتيب النطقي. فتتحول [ححا1 (حا2)] إلى محلات إعرابية [ففا (مف)]. يخصص فيه [ف] للمحل الفعلي (يقبل الفعل الإشتقائي وعناصر لغوية نحوية أخرى). ويخصص فيه [فا] للمحل الاسمي الأول (يقبل الاسم الإشتقائي وعناصر نحوية أخرى). ويخصص (مف) للمحل الاسمي الثاني. فيكون مرور البنية الحديثة إلى الإنجاز في الإعراب مروراً كاملاً لتكوين البنية الإعرابية المحلية

ليحافظ كل من الإعراب والاشتقاق على البنية الحديثة [ححا] عند توليد الأبنية الإعرابية والإشتقاقية. وفق مبدأ المحافظة على البنية وإن كان ذلك في اتجاهين متقابلين (ينظر: الشريف، 2002، ص365 وما بعدها)

وينبئ الشريف إلى العلاقة بين الإعراب والاشتقاق والمقولات في أن الاشتقاق محكوم بمقولات وفي نفس الوقت يسيطر عليه النظام الصوتي لأن الاشتقاق هو الذي يكون العناصر المعجمية من خلال الوسم اللفظي. ومنه يكون تعامل البنى الإعرابية المجردة مع النظام الصوتي تعاملًا غير مباشر من خلال الاشتقاق. (الشريف، 2002، ص350).

لا وجود لبنية حديثة بمعزل عن البنية الإعرابية فهما متعالقتان تلازميا بموجب الربط بين الحدث والحادثان بعلاقة تميزهما في المحلات الإعرابية ذات الدلالة العلائقية يقول الشريف "يقضي مبدأ المحافظة على البنية المقولية أن يخصص لها الإعراب محلاً نسميه بالمحل الوجودي... فتتكون لنا من البنية [ححا] في المستوى الإعرابي البنية [ففا]" (الشريف، 2002، ص428)

سمى الشريف هذه التعلق التلازمي بقانون الاسترسال على أساسه تنشأ علاقة تشارطية هي:

[حـ] ↔ [فـ]

إن علاقة الاشتقاق بالإعراب في محافظة كل منهما على البنية علاقة تشارطية
(بنية اشتقاقية ↔ بنية إعرابية) تنبني على أساس قانون الاسترسال الصرفي الإعرابي يقول الشريف "
نسمي التوافق بين بنية الفعل الاشتقائي الصرفية والبنية الإعرابية الأساسية [فـ فـ] استرسالا صرفيا
إعرابيا". (الشريف، 2002)

. خاتمة

قامت نظرية الإنشاء النحوي للكون على خلفيات فلسفية تقرأ أن اللغة حقيقة لغوية ضاربة في التاريخ تخزن خصائص التجربة الإنسانية في صورة أبنية نحوية دلالية قارة أساس هذه الأبنية بنية مجردة واحدة هي البنية المقولية المجردة .

تمثل البنية المقولية الحديثة بنية بسيطة ساذجة مجردة .تتكون من حدث وحادث ورمزها [ححا] تمثل النواة التي تتكون منها كل الأبنية اللغوية في المستويات المختلفة على صور مختلفة وأشكال بنيوية متباينة. وهي خالية من أي وسم لفظي مهما كان تحمل دلالة دنيا تقول كل شيء عن الكون ولا تقول شيئا على الإطلاق .

تبنى البنية الحديثة على معجم مقولي يتكون من مقولات: مقولة الوجود والعدم القائمة على السلب والإيجاب اللذين يمثلنا البنية الوجودية [H]. وعلاقة نظامية شرطية (←). وعلاقة الجمع المطلق .

يحافظ كل من الاشتقاق والإعراب على البنية الحديثة عند توليد الأبنية لتمر البنية الحديثة إلى الإنجاز في الإعراب مروراً كاملاً إلى المستوى الأدنى الوظائف ، وفي الاشتقاق بعضها يمر صريح وبعضها الآخر ضمني

تقوم البنية الحديثة على قانون التشارط بين الحدث والحادث وقانون الاسترسال بين البنية الاشتقاقية والبنية الإعرابية

تتحقق البنية الوجودية الحديثة [Hححا] بوجود بنيتين وجوديتين لتكوين البنية التواجدية [Hححا 9 Hححا] وتتكرر بحسب قواعد الدور التكراري تكراراً لانهائياً.

قائمة المراجع

- Harnaad. (2005). *To cognize is to categorize*.
- الشريف, م. ص. (2002). *الشرط والإنشاء النحوي للكون بحث في الأسس البسيطة الولدة للأبنية والدلالات*. منوبة-تونس: منشورات الجامعة التونسية كلية الآداب والفنون والإنسانيات.
- الفارابي. (1970). *كتاب الحروف*. بيروت: دار المشرق.
- المبحوت, وش. (2021). *مدخل إلى نظرية الإنشاء النحوي للكون*. تونس: دا المسكلياني.
- باديس, ن. (2018). *الذاتية في النظام اللغوي*. تونس: الدار التونسية للكتاب.
- بنفيس, ج. (1995). *problèmes de linguistique générale -2 editions*.
- تشومسكي, ن. (2005). *أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- جاكندوف (بنور عبد الرزاق). (2010). *علم الدلالة العرفانية*. تونس: دار سيناتر المركز الوطن للترجمة.
- عيساوي, ع. أ. (2011). *في فري، المقولة*. مجلة الآداب واللغات (07), 20-32.